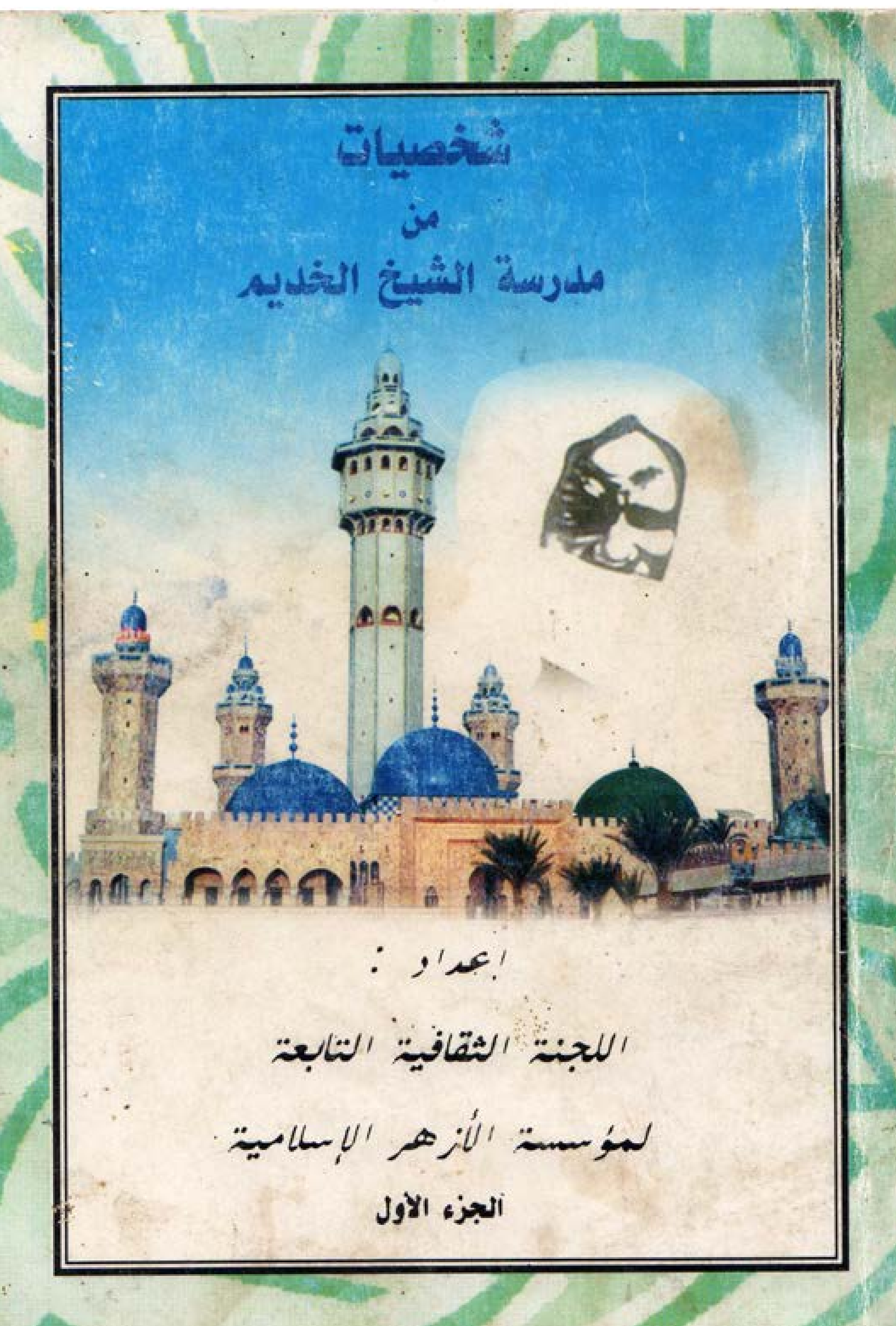


شخصيات
من
مدرسة الشيخ الخديم

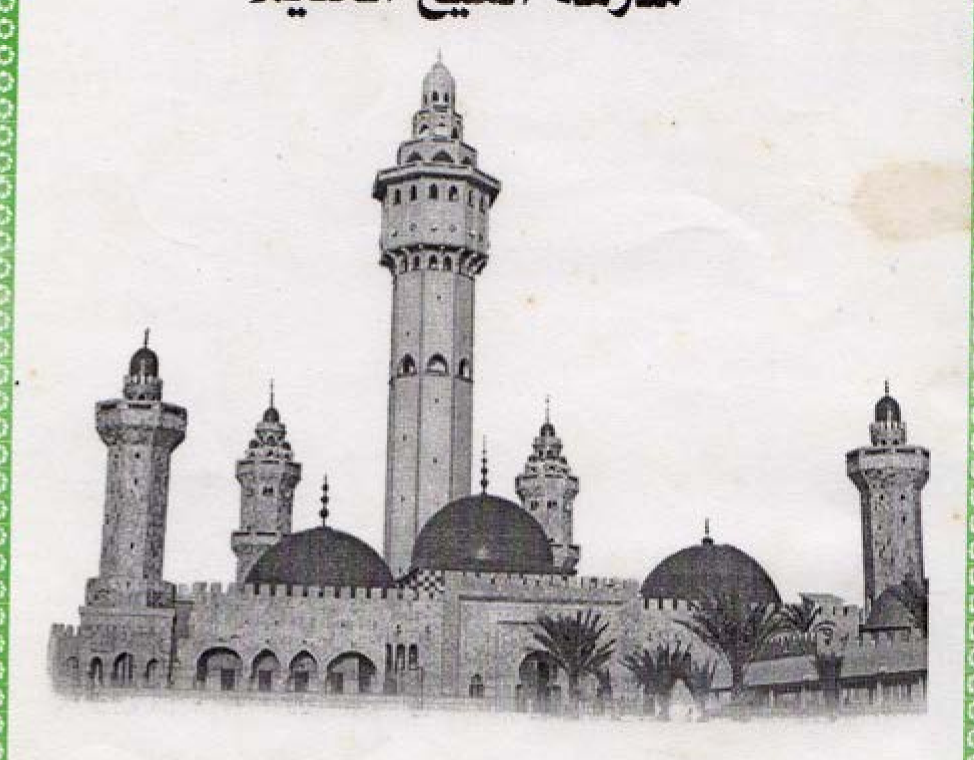
إعداد :

اللجنة الثقافية التابعة

لمؤسسة الأزهر الإسلامية

الجزء الأول

شخصيات
من
مدرسة الشيخ الخديم



إعداد :

اللجنة الثقافية التابعة

لمؤسسة الأزهر الإسلامية

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإن من دواعي الغبطة والسرور أن أقدم إلى السادة القراء هذا الكتاب الذي يتناول حياة بعض شخصيات عاشت مع الشيخ الخديم ونهلت من مناهله حتى أصبحت كل شخصية منها بحد ذاتها تمثل مدرسة تستطيع أن تصلح عصرا وتربي أجيالا.

بيد أنهم لا يلقون الاهتمام اللائق من الباحثين وأصحاب الأقلام لأن اهتمامهم بالشيخ الخديم وانشغالهم بشئونه صرفهم عنهم حتى لم يعد لهم ذكر خارج المريدية

كأنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقد أدركت هذه الحقيقة اللجنة الثقافية التابعة للإدارة العامة بمؤسسة الأزهر الإسلامية وخصصت لهم بابا في المجلة التي تصدرها(رسالة الأزهر) تتناول فيه حياتهم وتاريخ التحاقهم بمدرسة الشيخ الخديم ودورهم في نشر دعوته

وقد نجحت حتى الآن في نشر عدد منهم بدأته بسرين مبكي بوسو وختمته بسرين مود ندومبي خبان وستواصل هذا النهج حتى يتم نشر أكبر عدد ممكن من الشخصيات

غير أن هذا العمل ليس بالسهولة التي قد يتصورها البعض لأن كثيرا منهم لم يكن أحد قد كتب عنهم سابقا، الأمر الذي جعل الكتابة عنهم شاقة وعسيرة. والمعلومات المتعلقة بهم تلتقط من هنا وهناك

هذا وتجدر الإشارة أن ترتيب الشخصيات التي يتناولها الكتاب لم يأت حسب أقدميتها في الصحبة للشيخ الخديم لكن يأتي حسب إمكانية توفير المعلومات المتعلقة بها.

لذا لم يذكر فيها بعد الشيخ آدم غي وهو أول من أسلم على يد الشيخ الخديم وقدمنا الشيخ مختار بنت لوح على سرين مسمبا جوب والأول تأخر عنه في الصحبة كما علمتم

وعلى كل فهذه محاولة متواضعة من مؤسسة الأزهر الإسلامية ولعل بها تفتح المجال للباحثين والكتاب ليحذوا حذوها حتى يزيحوا الستار عن هذا التراث القيم الذي من حق الإنسانية أن تستفيد منه

صالح مرتضى مبكي

21مارس 2004

1 - العلامة الشيخ مبكي بوسو

الشيخ محمد بن محمد البسوبي – وهذا هو اسمه الحقيقي – ولد سنة 1281هـ – 1861م في قرية تسمى (مبسوبي) في (جلف) وجده الخامس هو حماد بن علي أول من قدم من (فوتا طور) إلى أرض (جلف) التي كانت تسكنها قبائل (وولف).

رحلاته العلمية:

لقد نشأ الشيخ امباكي بوسو في عفة وصيانة ومروءة وديانة في حجر والده {الشيخ محمد بوسو} وحفظ القرآن في صغره، وقرأ المبادئ على والده.

كان قديم الصحبة مع الشيخ الخديم رآه في أول صباه فاختاره لنفسه لما رأى الشيخ فيه من مخائل النجابة فآواه وقربه لنفسه، وشد يده عليه، ثم تابع دراسته وقرأ على الشيخ الخديم دروسا من التوحيد والنحو والتصوف،ثم ارتحل بإذنه إلى {الشيخ صمب تكلوركه} وقرأ عليه المطولات من النحو والفقه، وفي خلال إقامته مع هذا الشيخ في تيواون لقي الشيخ الحاج مالك سه والشيخ مولاي ناصر الشريف وأحلاه محلا لم

الحاج مالك سه والشيخ مولاي ناصر الشريف وأحلاه محلا لـم يسبق أن ناله غيره منهما، وجرت فيما بينهم حكايـات جميلـة يطول بنا ذكرها

هنا، ثم رجع إلى الشيخ الخـديم - رضـي الله عنـه - برسالة بعث به إليه خلال العودة من غيبته البحريـة، ليتخـذه عضدا ومستشارا، وقد ولاه الشيخ الخـديم التـدريس والإفتـاء وإجابة الأسئلة الطارئة بعد أن أتقن عشرين علما، كما أنه مـن المعلوم قد أتته فتوحات ربانية ببركة شيخه الذي مكث معه فـي خلواته التي اختلاها معه في {امباكي بول}، وكان قوتهما حينئذ كل يوم ملء كف طعاما وملئها ماء في مدة لا تقل عـن أربـع سنوات في أثنائها ألف الشيخ الخديم مسالك الجنان، وكان هـذا الصاحب أي الشيخ امباكي بوسو أول من تعلم هذا الكتاب على يدي الشيخ، وتأهل بعد ذلك للنقد والتصحيح في ما يراه ويقرأه.

مدرسته العلمية ومؤلفاته:

تخرج من مدرسة الشيخ امباكي بوسو أسـاتذة نـابغون يتقربون إلى الله تعالى بما يزيد بـث العلـم ونشـر الشـريعة المطهرة وفيها يقرأ القرآن العظيم وعلوم الحديث والفقـه و... وغيرها من الفنون التي يحتاج إليها لإحياء العلوم الإسـلامية، وأما مؤلفاته في الفنون المختلفة فتنم عن سعة أفقه فقد ألف فـي الفقه والتوحيد، والتصوف، وعلم الفـرائض والميقـات، وفـن

الرسم، ودلائل القبلة والحساب وغيرهـا، ولـه كتابـات فـي الجغرافية والتاريخ، وشرح بعض المتون شروحا وافية.

سيرة الشيخ امباكي بوسو وصفاته رضي الله عنه :

كرس الشيخ امباكي حياته للعبادة ولخدمة العلم كما رباه على ذلك شيخه وأنفق حياته كلها في سـبيل الـتعلم والتعليم والبحث والتأهل معرضا عما كان يشغل معظم علماء الدين في ذلك الوقت من التطلع إلى مناصب دنيويـة أو التقـرب إلـى الأمراء فقد عاش – رضي الله عنه – زاهدا في الجاه والمـال، وقد كان رضي الله عنه كثير الحياء متواصل الاعتـزال دائـم الفكرة معمور الأوقات، فلا يلقى إلا وكان مشتغلا بما يعنيه لـم يوجد قط في البطالة، وكان شديدا على نفسـه وبنيـه وعلـى خواص أقاربه هينا لينا على الأجانب والغرباء، وكان حريصـا على التمسك بالسنة النبوية الشريفة وتطبيق الشريعة المطهـرة، ولم يكن ليداهن أحدا يخالفها مهما عظم قدره في أعين العامـة ولم يزل يقيم الحدود على من يرتكبون ما يوجبها في قريته حتى توفي {رضي الله عنه} واستمر على هذه السيرة خلفاؤه، وكـان شديدا في إنكاره للبدع المستحدثة والخرافات، وورد في ختـام بعض ما كتبه في الهجوم على أنواع الفساد التي وصفها بقوله:

لهو ليس بالحلال وإسراف في نفائس الأموال ومخالطـة الأجنبيات بالرجال، وما ينشأ عنها من الوبال

وهو كما يقول ابنه الأكبر الشيخ أحمد بوسو إن الشيخ الوالد كان يحيي الليالي بالصلوات وتلاوة القرآن والأذكار والاستغفار، لاسيما في الأسحار، وكان في الغاية القصوى من التواضع فتراه

يكتب في عناوين كتاباته {أما بعد فيقول أفقر الفقراء وأحقر كل ما يرى محمد بن محمد البسوبي.

***أدبه وشعره رضي الله عنه :**

شكر الشيخ امباكي بوسو ربه على فتحه وكان يقول هذا البيت :

وإذا رفعت من المداد لقرطس   قلما حباني كل لفظ كله

وكان شاعرا مفلقا وإن كان من المقلين وله عيون من الأشعار في المدح والرثاء وغيرهما، كلها في غاية الروعة والجودة تشهد له بالتفوق وطول الباع في صناعة القريض ومن درره الثمينة وفرائده النفيسة ميميته التي مدح بها شيخه وقرة عينه الشيخ الخديم {رضي الله عنه وأرضاه} وهي قصيدة طويلة تبلغ واحدا وخمسين بيتا، ظهرت فيها قدرة شاعر متمكن معبر عن شعور صادق بأساليب قوية وأخاذه وشحتها أنماط بديعية رائعة جاءت عفوا بلا تكلف ومطلعها :

أراك تعاطى الشعر والقلب هائم   على زمن فيه الفصاح بهائم

على زمن فيه البلاغة آفة وأكسد سوقا مخجل الدر ناظم

إلى أن قال :

هو الغوث والمغياث ربي قلوبنا وأجسامنا فالكل صاف وناعم

إلى أن قال :

جزاه عن العصر الجديد إلهه بتجديده طرقا محاها الأناسم

إلى أن قال :

وكم من خصوص حازه لا أبثه وأحذفه صونا ولو رام رائم

وكتب إلى أمير "اندر" قصيدة رائعة دفاعا عـــن الشـــيخ الخديم للتهم التي وجهها إليه أعداؤه مما سبب نفيه فقال :

قل للأمير ولا ترعبك هيبته إن المهابة خدن العدل والسدد

وفيها يقول :

كم صبية وذوات الخدر ضائعة

بنفي شخص ولم يفعل ولم يرد

بالله فتش ولا تهمل خطوب فتى

لم يخطر السوله مذ ري ء بالخلد

وهي قصيدة جميلة وطويلة كما أسلفنا.

والشيخ امباكي بوسو – رضي الله عنه – له منزلة عالية عند الشيخ الخديم وإليه وجه الشيخ الخديم هذه النصيحة التي نظمها بأبيات رائعة :

أوصيك يا ابن عمتي وخالي وفزت بالإخراج والإدخال

نصيحة وهي لها مزيه في الملة الصحيحة المرضيه... إلخ

ثم إنه ما زال محببا إلى سيده وشيخه وشيخ الصوفية، ومتطلعا إلى أخلاقه،

ومعنى بالشوق الذي يضنيه ويؤلمه فينشد إليه بقوله :

زرناك يا شيخ شوقا مورثا ألما

زور المريد المراد المفرد العلما

يا من صبا القلب مني كل أزمنة

بلا التفات له حبا وما ظلما

أروم منك دعاء صالحا حسنا

لعله يخرج الأحلاك والظلما،

فأجابه الشيخ الخديم رضي الله عنه بقوله :

جزاك خير جزاء من بري النسما

حتى تحوز مقاما قد علا وسما

حتى تحوز الذي ترجو وتأمله

من المواهب ممن أصلح القسما

حتى تكون إمام الجيل مرتقيا

بجاه أفضل من يبكي ومن بسما

ونكتفي بهذا القدر في هذا الميدان من أدبــه رضــي الله عنه وشعره.

ثناء العلماء على الشيخ امباكي بوسو :

كانت بين الشيخ امباكي بوسو وبين علماء عصره فــي السنغال وموريتانيا أواصر وثيقة من الصداقة والمحبة والأخوة في الله.

لقد وصفه الشيخ محمد البشير امباكي في كتابه : مــنن الباقي القديم "بالعالم البوسوبي امباكي بن محمــد عــالم البلد ومفتيه"

ولقد صدق حبيبه : الحاج مالك سه : "شيخ التجانية فــي السنغال إذ قال في حقه : أن لو لم يكن لي دليل علــى كمــال الشيخ أحمد بامبا إلا صدق عقيدة امباكي بوسو فيه وسلوكه على يديه مع معرفتي له لكفاني حجة"

وقال فيه الشيخ محمد جبه سل وهو من تلاميذه الكبــار رحمه الله.

ومحمد بن محمد بن محمد   شيخي البسوبي المبرز أفخم

علم الشريعة والحقيقة عنده   أنواره تهدي المريد ومن عموا

أولاده ورثوا غزير علومه. **حيا فيا عجبا لما لا يعلم**

زعم الأناس بأن فلانا مثله أنى يسوى بالقصائد درهم؟؟؟

أتاه يوما عالم موريتاني زائرا ومسلما بقوله :

مني سلام سليم يخجل الراحا

كالبدر إن لاح أو كالمسك إن فاحا

إلى البسوبي ظرف العلم مجمعه

من قد غدا لذوى العرفان مصباحا

وهو ابن خال إمام العصر من سبقت

جياد معناه أقلاما وألواحا

تراه ينبت للجائين ساحته

وردا ونــــدا ورمانا وتفاحا

هذا طبيب يداوي للورى عللا

وكم هدى أنفسا ضلت وأرواحا

لقد شهد العلماء بفضله وجليل قدره شـهادات حسـنة لا تحصى.

رحلة الشيخ امباكي بوسو إلى الحجاز وأيامه الأخيرة :

وفي أواخر سنة 1346 هـ{1928م} سافر الشيخ امباكي بوسو إلى الحجاز وحج بيت الله الحرام وزار المدينة المنـورة، وفي طريقه زار كثيرا من الدول، ثم رجع وكانت حرارة أرض

الحجاز قد سرت في جسمه تتحرك فيه تارة وتسكن أخرى {...} فلبث سنين سقيما ضئيل الجسم إلى أن انتقل إلى رحمـــة الله – تعالى منتصف سنة 1364هـــ {1946}م عن 84 سنة ودفن في قريته "كد" وقبره هناك يزار، رحمـــه الله – تعـــالى – رحمـــة واسعة ورضي عنه وأرضاه وجزاه عن الإسلام خيرا.

2- الشيخ إبراهيم فاط امباكي

بقلم / الشيخ خادم أحمد لوح

إنه واحد من القادة الأفذاذ الذين تخرجوا وتربـوا مـن مدرسة خادم الرسول، وتجردوا عن ما سـوى الله، وأصـبحوا قادة إسلاميين بكل ما تحمله كلمة الإسلام من دين ودنيا، فالشيخ إبراهيم فاط امباكي نهل من نبع فيض الشيخ أحمد بامبا، وربي بنفسه علماء مخلصين أناروا الآفاق بمصابيح عقـولهم النيـرة، فتعالوا معنا – أيها القراء– نسلط الضوء على حيـاة العلامـة الجليل الشيخ إبراهيم فاط امباكي.

مولده :

فالشيخ إبراهيم امباكي قد ولد في بروخان فـي منطقـة "سالم" عام 1283هـ الموافق 1863م، من والدين صالحين/ مـام مور أنت سالي امباكي والسيدة/ فاطمة جوب.

تعلمه وتربيته :

لقد تعلم الشيخ إبراهيم امباكي القرآن الكريم علـى يـد الشيخ الخديم حتى حفظه، وكذلك تعلم منه علوما مختلفة وفنونا

شتى حتى أصبح بحرا في المعرفة، ويكفي للبرهنة على سعة أفقه العلمية، هؤلاء الفحول الذين تخرجوا على يديه أمثال الشيخ محمد المصطفى، والشيخ محمد الفاضل امباكي، والشيخ مختار بنت لوح، والشيخ محمودا كس وغيرهم كثيرون، وكان الشيخ إبراهيم امباكي عالما عاملا بعلمه مراعيا للحقيقة والشريعة في كل شيء لأن ذلك شرط أساسي عند القوم فالشيخ أحمد بامبا يقول :

{منها التبحر في علم الشريعة مع

علم الحقيقة في بدء وغايات

إذا ارتياض مع الإرشاد قبلهما

من جالبات غرور مع شقاوات

علاقته الوثيقة مع الشيخ الخديم :

ففي سن مبكرة من حياة الشيخ إبراهيم فاط، كانت علاقته بالشيخ الخديم تتوطد، حتى في صغره وقبل قدرته على المشي كان أخوه الأكبر الشيخ أحمد بامبا يختلي به في الفلاة بهدف إعداده للحياة الروحية كما أنه حين توفي الشيخ الوالد/ مام مور أنت سلي امباكي كان الشيخ الخديم – طبقا لمصادر موثوقة– قد تنازل عن نصيبه من الميراث واكتفى بأمرين هما:

المصحف، وأخوه إبراهيم، وهذا دليل قاطع على وثوق ارتباطهما، قد كان – رضي الله عنه – العضد الأيمن للشيخ

الخديم بمنزلة هارون من أخيه موسى – عليهما السلام – في قوله – تعالى – "سنشد عضدك بأخيك" فهو الذي ترك الشيخ الخديم العيال والأمتعة بيده أيام غيبته البحرية المباركة، فاجتمع عليه أصحاب الشيخ أهل العقد والحل، وأقام قراءة أولاد الشيخ الذين حفظوا القرآن في مدة قليلة قبل رجوعه، ولم ينخرم شيء من أمره، هكذا كتب الشيخ محمد الأمين في كتابه : "إرواء النديم من عذب حبّ الخديم" وثمرة هذه العلاقة الطيبة تتبلج في تأثره – رضي الله عنه بالشيخ الخديم في كل حركة من حركاته.

دار المعطي قلعة العمل والتربية :

بما أن الشيخ الخديم بنى منهجه على العلم والعبادة والعمل فلقد أمر الشيخ إبراهيم امباكي بإنشاء قرية "دار المعطي" في عام 1912م كمكان لتربية أتباعه على العلم والعبادة والعمل، فالله – سبحانه وتعالى يحث على العمل الصالح في قوله :

"والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

فالعمل الصالح متعدد الجوانب، فكل كسب حلال يعتبر عملا صالحا وفي هذا الشأن يقول خادم الرسول :

اجتهدوا يا قوم في الطاعات بالعلم والعمل في الخيرات

إذن أنشأ الشيخ إبراهيم امباكي دار المعطـي للتربيـة، والتعليم والعمل لكسب الحلال مراعيا مبادئ الشريعة مـع مـا تيسر من الحقيقة المنورة، فلم يكن يرضى أبدا أن يـدخل أحـد أتباعه باب المسجد إلا بعد أن يتوضأ، كما أنه في أوقات العبادة {على ما نقل على لسان-"سرج بات سل"} في كتاب الشيخ محمد البشير بن الشيخ إبراهيم كان يأمر الأتباع بترك العمـل عنـدما يحضر وقت الصلاة مثلا، تماما كما كان الشيخ الخديم يتصرف في مثل هذه الحالات، حيث كان يأمر بإبطال ذلك العمل إذا وقع بعد دخول الوقت أو التصدق بناتجه، وهذا ما يسمى بـ "التوحيد العملي".

زهده رضي الله عنه :

كان الشيخ إبراهيم فاط مثلا في الزهد والورع وقد شهد له بذلك الشيخ محمد الأمين جوب في كتابه "إرواء النديم" بقوله " فإنه فوق ما يوصف" وبقوله أيضا "إنه يضرب الناس به مثلا في الاستقامة" ولا غرو في أن يتصف بهذه الصفة المحمودة من تربى في ظل خادم الرسول الذي كان آية في الزهد والاستقامة.

حزمه وشجاعته وحكمته :

كان الشيخ إبراهيم مثلا في الحزم والشجاعة، وقد اختاره الشيخ الخديم موفدا من قبله لدى السلطات الاستعمارية حين طلب حضوره إلى "اندر" ولكنه بحكمته استطاع أن يقنعها في التراجع عن إرسال كتيبة مسلحة إلى الشيخ، وهو يشبه موقف سيدنا علي {رضي الله عنه} في ليلة هجرة النبي {صلى الله عليه وسلم}إلى المدينة المنورة.

حبه للشيخ الخديم :

فقد كان الشيخ إبراهيم يحب الشيخ الخديم حبا جما، لأن الشجاعة التي أشرنا إليها آنفا دليل قاطع على حبه لشيخه باعتباره أول شرط من شروط المريد الصادق.

. الصدق في محبة الشيخ أبد ثم امتثال أمره حيث ورد

فالشيخ أحمد الخديم يقول في حكمته : "إن مفتاح محبة التلميذ لشيخه في امتثال أمره واجتناب نهيه" وحسن الظن به، وأما

مفتاح محبة شيخه له فرؤيته متعلقا به لطلب الوصول إلى مطلوبه مع المبادرة إلى أمره بلا اعتراض ظاهرا أو باطنا، أما مفتاح عكس هذه الأشياء فإصرار على الذنوب والتسويف

عن العمل الصالح ومحبة العاصين، وعدم امتثال الأمر، وترك اجتناب النهي، وسوء الظن، وترك التعلق به لله - تعالى وهكذا فلقد طبق الشيخ إبراهيم هذا الكلام الصادر من الشيخ الخديم حرفا بحرف حتى فنى في حب شيخه رضي الله عنهما.

منزلته عند الشيخ أحمد بامبا :

بالإضافة إلى كون الشيخ إبراهيم فاط مبكي عضد الشيخ الخديم، هناك رسائل عديدة وردت فيما يدل على علو شأنه، فقد رأينا خادم الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في حقه : "إبراهيم الذي لم يفارقني لا في صغره ولا في كبره" كما رأيناه في مكان آخر يكتب "إبراهيم الذي لا يخالفني أمرا قط" وهناك رسالة أخرى من الشيخ الخديم تدل على كون الشيخ إبراهيم المسلم الحقيقي والمريد الصادق الذي لا يريد سوى رضوان ربه، فالشيخ إبراهيم قد فاز برضوان الله وهذا نصها :

"لبسم الله الرحمن الرحيم متى تقع عينك على هذه الحروف فتيقن بأن كاتبها راض عنك رضي لا سخط بعده أبدا وأنه طالب من الله - تبارك وتعالى - لك ما يغبطك فيه جميع أمثالك فطب نفسا وقر عينا، ولا تشك في كون هذا من ربك إليك بواسطته، والله على ما نقول وكيل" فهل هناك شيء يطلبه الإنسان المسلم

والمريد الصادق أكثر من كونه مرضيا عند الله وعند شيخه؟ "ورضوان من الله أكبر".

التحاقه بالرفيق الأعلى رضي الله :

التحق الشيخ إبراهيم فاط مبكي بالرفيق الأعلى يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر شعبان المعظم 1392هـ الموافق 1943م بعد أن فاز برضى الله – تعالى – ورضى أخيه الأكبر وشيخه الشيخ أحمد بامبا، وتولى خلافته من بعده ابنه الأكبر الشيخ محمد حو بل مبكي الذي كان خير خلف لخير سلف، واهتم هذا الأخير بقرية دار المعطي وجر المياه إليها، كما أتم بناء بيت والده ومسجده، وواصل دور والده في التربية والحفاظ على التراث المريدي حتى توفي بعد ذلك في عام 1985م ثم انتقلت الخلافة من بعده إلى الشيخ عبد القدوس مبكي العالم السني التقي الذي واصل دور أخيه وأبيه حتى استكملت المرافق العامة في القرية وأصبحت دار المعطي العاصمة الثانية للمريدية بعد طوبى، وكانت من قبل ذلك صحارى جرداء لا مياه فيها! نعم إنه قول الله – تعالى – : "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا" فجزاه الله عن السلف خيرا وأبقى فينا الخلف وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

3- المعلم الشيخ عبد الرحمن لوح

بقلم / سام بوصو عبد الرحمن

إن الشخصية التي نتناول أطرافا من حياته تعتبر من الرعيل الأول من أتباع الشيخ الخديم – رضي الله عنه – الذين تربوا على يديه حتى تصدروا و حققوا الجمع بين الشريعة المطهرة والحقيقة المنورة، وصاروا قادة في الدين هداة، صدق فيهم قول الشاعر :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم

مثل النجوم التي يسرى بها الساري

وتلك الشخصية هي المعلم الشيخ عبد الرحمن لوح الشهير بسرين اندام.

مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبد الرحمن في قرية تسمى ميوندو يوم الاثنين الأول من ربيع الأول سنة 1271هـ (1853م) من أسرة عريقة مشتهرة بالتدين والورع : فأبوه هو الشيخ محمد لوح المعروف بمام مدن، أما والدته فهي السيدة مريم سيك

وكانت تدعى بمرم. وقد ترعرع في بيئتها الصافية حتى بلغ سن التعلم.

رحلته الدراسية :

كانت أسرة الشيخ مهتمة بالعلم ومشتغلة بالقرآن الكـريم ولذا درس القرآن على يدي الشيخ مست جخاتي جد الشيخ حمزة جخاتي حتى حفظه وكتب مصحفا بخط يده كما جرت العادة، ثم

تعلم مبادئ علم القراءات في مدرسة بر الشهيرة. وبعـد إتقانه القرآن حفظا وتجويدا ورسما شد رحاله للتـزود بـالعلم، فتوجه نحو بلدة انغيك لدى العالم الشيخ ماجينغ فـالو صـاحب المدرسة العريقة التي كانت محط رحال طلبة العلم في عصره، وهناك درس المطولات من النحو والفقه.

وتوجه إثر ذلك إلى بتار حيث كان الشيخ مومار أنتا سل والد الشيخ الخد يم يقوم ويرأس مدرسة كبيرة ومكـث هنالـك ليكمل دراسته في بعض الفنون.وكان الشيخ الخد يم وقتئذ فـي منزل الوالد.

علاقته بالشيخ الخد يم :

كان الشيخ يقارب الشيخ الخد يم في السن. وكان يدرس في مدرسة الشيخ الوالد في امباكي كجور بعد أن برع في علوم كثيرة، كما قرأ على الشيخ الخد يم بعضا من مؤلفاته.

وبعد وفاة الشيخ الوالد سافر الشيخ الخد يم لبضعة أشهر إلى موريتانيا، وفي هذه الفترة أناب الشيخ عبد الـرحمن فـي مهمة التدريس لما توسم فيه من الإجادة والنبوغ.

وحين أعلن الشيخ الخد يم عن عزمه على بدء المهمـة التربوية وعرض الأمر علـى التلاميـذ الموجـودين كبـارهم وصغارهم، كان الشيخ عبد الرحمن من أوائل المبايعين، وأصبح هكذا من الرعيل الأول ممن عرفوا بالمريدين لصدق إرادتهم.

ولم يتردد، رغم ما بينهما من تقارب فـي السـن فـي الانقياد إليه بل بايعه ولعب دورا هاما ومتميزا لصـالح دعـوة الشيخ، تلك الدعوة

الإصلاحية التي لم ترفع إلا من أجل تجديد الدين وإعادة الناس إلى منهاج الله القويم.

دور الشيخ عبد الرحمن في دعوة الشيخ :

الدور الذي قام به الشيخ عبد الرحمن لصالح الدعوة دور بارز لا يخفى على من له أدنى اهتمام بتاريخ الحركة المريدية.

فالشيخ الخد يم بعد أن ربى ذلك الجيل الأول من أتباعـه حتى تأهل كل واحد منهم لمهمـة الـدعوة والإرشـاد وتربيـة المريدين اختص كلا منهم بمهام وعهد إليه بعدد من الأتباع. أما الشيخ عبد الرحمن فقد اختص بجانب من أهم الجوانب في دعوة الشيخ ألا وهو الاشتغال بتدريس القرآن إلى جانب التربية.

ولا تغيب عن البال المكانة التي يحتلها القرآن الكريم في جهاد الشيخ : فهو سلاحه الذي به قهر الأعداء وسلب به أسلحة الشيطان.

يقول رضي الله عنه :

ومدافعي اللاتي بها أنفى العدى

وبها يفارقني عنيد قاصد

ذكر حكيم أحكمت آياته

وبها يزحزح ما يريد المارد

ويقول أيضا :

سلبت بالكتاب و الحديث وبالتقى أسلحة الخبيث

والخدمة الجليلة التي قام بها المعلم في مجـال القـرآن أصبحت من الشهرة بحيث لا تحتاج إلى تطويل في البيان. إنـه لم يفارق الشيـخ الخد يم بعد المبايعة ؛ انتقـل مـعه من امباكي كجور إلى امباكي بول ثم إلى دار السلام ومن ثم إلـى طوبى ....إلى أن أسكنه في دار العليم الخبير التي اشتهرت فيما بعد باندام. وطيلة هذه المدة لم يزل يخـدم شـيخه بهمـة منقطعة النظير.

وفي دار العليم الخبير تولى مهمة تدريس القرآن لأهـل الشيخ أثناء غيابه في منفاه.

فقام على هذه المهمة خير قيام، وقل من لم يحفظ القرآن على يديه من أبناء الشيخ الكبار وبناته وأبناء كبـار تلاميـذه. فجزاه الله عن القرآن خيرا.

منزلته عند الشيخ الخد يم :

كان الشيخ عبد_الرحمن لوح- بجديته وعلو همتـه ومـا يتحلى به من محبة وصدق- يحتل منزلة خاصة ورفيعة لـدى شيخه ويكفينا دليلا أن شيخه كان يستشيره كثيرا في الأمور قبل البت فيها، وإنه ترك عياله في حجره ليعلمها القـرآن.. وتـوج ذلك كله بتزويجه اثنتين من كريماته : السيدة فاطمة امباكي ثـم السيدة مسلمة، ثقة في خلقه وأمانته ودينه.

صفاته :

يقول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كان من شيمة الإنسان أنه يتأثر برفيقه وخليله ويتخلق بخلقه فما بالك بمن رافق الشيخ الخد يم، وتربى على يديه، وقام بدور عظيم في دعوته؟ فلا غرو أن يتحلى مثل هذا الشـخص بأخلاق حميدة وصفات متميزة.

هكذا كان الشيخ عبد الرحمن لــوح متســما بــالأخلاق والجدية في عمله لا يعرف الهزل والفتور إليه ســبيلا فقيامــه برعاية أهل الشيخ وتحفيظهم القرآن لخير دليل على علو همتــه وعزمه وإخلاصه.

وكان تفانيه في محبة شيخه وفي خدمته حائلا بينه وبين الالتفات إلى حطام الدنيا.

وكان رضي الله عنه شجاعا يصدع بالحق ولا يخاف فيه لومة لائم، ويعد أيضا من القوامين الصوامين، وكان لا يلفي إلا ولسانه لهج بترتيل آيات الذكر الحكيم.

انتقاله إلى جوار ربه :

استمر الشيخ المعلم في خدمته الجليلة حتــى رزقــه الله بأبناء قاموا بأعباء المهمة خير قيام، وظلت دار العليم الخبيــر مركز إشعاع لم يخب نوره، وظل يشرف على المدرسة إلى أن دعاه ربه في

شهر شعبان 1363هــ (1943م) ورثاه كثير من شعراء عصره، فجزاه الله عن الإسلام خيرا

4- الشيخ مختار بنت لوه

بقلم / سرين شيخنا لوح مختار بنت

ولد الشيخ مختار بنت أوائل 1875 ميلادية سـنة 1294 هجرية تقريبا وأبوه إبراهيم الشهير بران حوانداي لوه ابن محمد الشهير بـمدن امبي توج بن مختار لوه مؤسس قرية انيـومري وأمه: بيندا بويا جوب ابنة مور قج كمب جوب صاحب مقدمة الكوكي المشهورة في النحو.

نشأ وترعرع تحت حضانة والديه بقرية انيومري ولـما بلغ سن التعلم أرسله والده إلى مدرسة "ألسان لوه" أحد أقاربـه وقد حفظ القرآن على يديه، وأتقن بعض قراءاته، وأمـا علاقـة السيد مختار بنت بالحضرة الخديمية فمن المحقق أنه اتصل أول ما اتصل بالحضرة الخديمية بنصائح وتوجيهات "سرين" سر لوه السنوسي.

وربما يعود ذلك إلى أواصر الأخوة التي تجمـع بينهمـا علاوة على ما كان يربط بين الشـيخ أحمـد الخـديم وأهـالي

"انيومري" من وشائج كريمة وعلاقات طيبة. وبناء على ذلك لقد وصل السيد مختار بنت لوح إلى الحضرة الخديمية حوالي سنة 1312هـ {1894م}.

وقد كان الشيخ أحمد الخديم موجودا بطوبى المحروسة وبالتحديد في نفس البقعة التي يوجد فيها منزل الشيخ شعيب وأسلم إليه كل أموره حسب التقاليد المريدية ومن المعروف أن سنة 1312هـ هذه كانت سنة اضطرابات واحتكاك بين الشيخ أحمد الخديم

والسلطات الاستعمارية الفرنسية، مما أدى إلى انتقال الشيخ الخديم إلى امباكي "باري" في قطر جلف وفي السنة التالية 1313هـ {1895 ميلادية} تم اعتقال الشيخ أحمد الخديم من جانب السلطات الاستعمارية الفرنسية ونفيه إلى الغابون.وبقي السيد مختار بنت مع الشيخ إبر فاط أمين الشيخ أحمد الخديم الذي أسند إليه مهمة الإشراف على الرعية طيلة غيابه عن وطنه. وفور مغادرة الشيخ أحمد الخديم أرض الوطن عاد الشيخ إبر فاط بجميع ودائع الشيخ أحمد الغالية إلى قريتهم الأصلية {امباكي بول} وحينئذ ابتدأ أوائل دروسه العلمية على يديه وقد تفوق في كثير من الفنون وخاصة الفقه – الصرف – النحو – الأدب العربي – علم اللسان – {اللغة العربية} – المبادئ الأولية لعلم الفلك ورسم القرآن.

وبعد أن تمت دراساته بادر إلى سـلوك طريـق القـوم فالتحق بالمدرسة الخديمية للتربية والتهذيب وقد قضـى سـنين عديدة في ذلك المضمار تحت رعاية وعناية الشيخ إبـر فـاط، الأمر الذي جعله أحد المريدين السالكين المحققين والـذين قـال فيهم ا لأديب الموريتاني الممتاز محمد عبـد الله العلـوي بـأن الشيخ إبر فاط رباهم وثقفهم وهذبهم خلال السنوات التي قضاها الشيخ أحمد الخديم في المنفى حيث قال :

ربى المريدين وأقرأ البنين النجباء الأذكيا تلك السنين

وأما علاقة السيد مختار بنت بمعاصريه فمن المحقق أن الطبيعة المريدية هي أن ليس هناك معيار يوزن به قيمة أي فرد مريدي سوى معيار اعتقاده في شيخهم الوحيـد الشـيخ أحمـد الخديم. ،

وإن كل معاصري الشيخ أحمد الخديم لم تكـن تتـركهم عقيدتهم الثابتة بالمبادئ الخديمية ومحبتهم الصـادقة لشـيخهم وتحمسهم البناء لتعاليمه – لم يكن يتركهم كل هذا يلتفتون إلـى أية ركيزة اجتماعية أو إلى أية علاقة أخرى تـربطهم بسـوى مقتضيات الدعوة الخديمية الإصلاحية.

وإن مجريات {أحداث} حياة السيد مختار لـم تكـن ذات أهمية مريدية لو لا الأدوار الإيجابية التي لعبهـا هـو لصـالح الدعوة الخديمية ابتداء من عقيدته الراسخة إلى بيعته الصـادقة

وطاعته الخالصة وممارسته ا لطيبة. وذلك كله داخل إطار الكتاب والسنة.

· وبناء على ذلك فلنحاول إلقاء الضوء على علاقته بمعاصريه.

علاقته بشيخه وفريد عصره الشيخ أحمد الخديم

ما زالت علاقة السيد مختار بنت بشيخه بينة وواضحة إلى وقتنا هذا ولم تزل الأسرة الخديمية ترعى تلك العلاقات المميزة ذات طابع الود والكرامة، تلك العلاقات التي لمحت أولى بواردها حينما رجع الشيخ أحمد الخديم من منفاه واسترده على الفور من يد الشيخ "إبر فاط"وآواه إلى جنابه المحترم.

ولم يفارقه منذ ذلك الوقت سوى بضع فترات قليلة وقصيرة. رافقه إلى "موريتانيا" ثم إلى جلف ثم إلى "انجاريم" حيث أسكنه في الجناح الأيسر الملاصق لمقره الخاص وله حكايات طويلة وسعيدة مع الشيخ الخديم ومن تلك الحكايات ما حكاه المرحوم الشيخ محمد الأمين الدغاني ـ

حيث قال : من أسعد أيام "مختار بنت" يوم وضع الحجر الأساسي لمسجد انجاريم، وذلك أن الشيخ أحمد الخديم لما أخذ يضع الحجر بحضور جميع أكابر المريدين ووجهائهم، استدعى الشيخ أحمد الخديم مختار بنت وكان بعيدا وراء في الجماعات

الغفيرة والحاضرة. وقد استوقف كل الأشياء إلى أن وصل إلى جانبه ثم واصل الشيخ عملية الوضع من جديد، وبعد أن قرأ طويلا على الحفرة ناوله آلة البناء وأمره بأن يفعل مثل ما فعل هو ولم يكن "مختار بنت" حينئذ من أكابر المريدين المتقدمين سنا ولا من تعداد الوجهاء الرئيسيين ولكن من المحقق أنه كان من الصفوة المختارة التي ينتخبها الشيخ أحمد الخديم لبعض شئونه الخاصة.

علاقته بمعلمه ومربيه الشيخ "إبر فاط" :

من المحكي عنه أن الشيخ "إبر فاط" كان يباهي بمختار بنت لوه علنا سائر زملائه الموجودين بحضرته بناء على ذكائه وشجاعته وأصالته وصفائه الروحي وأناقته وتفوقه على كثير من أقرانه في ميدان العلم والعمل.

علاقته بإخوانه المريدين :

ونختار من بينهم الشيخ عبد الرحمن لوح الذي كان واثقا به ثقة تامة، وعلق عليه آمالا فائقة الأمر الذي أدى به إلى أن طلب منه أن ينشد قصيدة يذكر فيها الشيخ أحمد الخديم وبعض إخوانه وأقاربه يدعو الله بأسمائهم أن يمحو عيوب المريدين ويصفح عن ذنوبهم. وفعلا أنشد تلك القصيدة وسماها : تسهيل المطالب في التوسل بسادات أهل المغارب.

آثاره العلمية والأدبية :

للسيد "مختار بنت لوه" كتابات ومخطوطات وأشعار غزيرة ورائعة لأنه كتب في كثير من الموضوعات ذات الصلة بالشؤون الدينية والاجتماعية ولكن ضاعت الأكثر منها بسبب تباعد مساكنه {نيوميري، تيونييل، انجاريم، سر من رأى}. وله منشورات مهمة عن أحاديث الشيخ الخديم وتعاليمه كما أن له ديوان شعر رائعا كله يدور على محور واحد هو شخصية الشيخ أحمد الخديم، وتعاليمه وماجريات {أحداث} حياته الكريمة، وتنقلاته وآثار بركته الباهرة.

ونذكر بعضا من تلك القصائد ونترك البعض الآخر بيد القراء الكرام كي يبذلوا بعض الجهود للعثور عليه ومن بين تلك القصائد القصيدة التي أنشدها بإشارة من أخيه الشيخ عبد الرحمن لوه كما ذكرنا آنفا ومطلعها :

حمدا لمولى الأرب **لكل داع أرب**
ومخلص في الطلب **من عابد ذي أدب**
ثم صلاة مع سلام **بلا انتها ولا انفصام**
ما انجاب للبدر الظلام **على خيار العرب**

إلى أن قال :

وبعد فالقصد إلى **نظم قصيدة على**

مستشفع لمن تلا　　　لرهب أو رغـــب

توســلا بـــسيد　　　شيخ الزمان الأوحد

وشيخـــه محمد　　　والـــده المـــهذب

وله قصيدة أخرى يتوســل فيهــا بأسـماء الله الحســنى ومطلعها :

إلى كعبة الآمال وجهت وجهتي

وفي ذلك المحراب مرغت جبهتي

إلى أن قال :

بأسرار لاهوت الإله تفضلن

علي ببعدي عن نقيصة ذلة

وكن لي بخير في عمومي وخاصتي

كما كان بالرحمن من غير خفية

وله قصيدة أخرى يرد بهــا علــى بعــض المتعصــبين المعاصرين ومطلعها :

ألا بلغا عني سلاما بلا إثم

إلى الملإ الأعناد بالقلب والفم

وقولا لهم لا يفخروا بمدود

من العظم بئس الفخر إن كان بالعظم

إلى أن قال :

فحسبي مختاران جداي مفخرا

وأني مختار بذا القطب ذا بسم

وله قصيدة أخرى يجاري بها الأديب محمد بن عبد الله العلوي ومطلعها :

شأوت ذوي الأشعار غايتهم شأوي

كما جزت بالممدوح أقصى المدى شأوي

تحلى نظام ا لكون عقد نظامهم

وما إن ترى عقدت لفظا و لا فحوى

مدحت جديرا بالمدائح إنه

ملاذ الورى دنياهم وكذا القصوى

إلى أن قال :

فقل للذي يأبى عن الشمس ضوءها

فإن قضاء الله ماض كما سوى

وللمكرمات قد صرت كعبة آمل

تحجك أخلاط الرفاق مطوا مطوي

حياته العملية :

طبقا لتعاليم المريدية ومبادئها التي ترتكز على الإيمان بالله وإخلاص العبادة لله وحده والعمل الصالح لوجه الله فإن الشيخ مختار بنت كان عاملا دءوبا ونشيطا.

لقد أسس أماكن ودورا للعمل والتربية في كثير من الجهات (سين سالم، بول، انجامبور، كجور) ولقد خلف حقولا ذات أهمية زراعية ما زالت أراضيها معمورة بيد أبنائه وأحفاده بارك الله فيهم.

ومن بين تلك الأماكن القلعة التي أسسها في سهول تيونييل داخل أراضي دار المعطي بإذن من الشيخ "إير فاط" حيث بقي إلى أن توفي في التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة 1368 هجرية (1949 ميلادية) عن عمر يناهز الخامسة والسبعين طيب الله ثراه، وأسكنه أعلى فراديس جنانه آمين.

ولقد خلف تسعة أولاد ميامين وما يناهز عشرا من بنات صالحات.

وقد كان كبير أولاده إبان وفاته المرحوم السيد أحمد المنصور الشهير بأحمد لوح مختار الذي كان خير خلف لخير سلف بكل معنى الكلمة رحم الله السلف، وبارك في الخلف.

5- سرين مسامبا امباكي

بقلم / سام بوصو عبد الرحمن

هناك رجال استجابوا لدعوة الشيخ أحمد بامبا الإصلاحية، وتربوا على يديه، وارتووا من مناهل تعليمه، فقاموا من بعده بنشر تلك الدعوة في مشارق البلاد ومغاربها، واستحقوا بذلك أن نتعرف على ملامح من حياتهم ونعرفها للأجيال القادمة، لأن سيرهم دروس قيمة من الإخلاص والصدق والوفاء والمثابرة.

وقد اخترنا من هؤلاء في هذا العدد أخا الشيخ وتلميذه المخلص وناسخ قصائده سرين مسامبا امباكي.

ميلاده ونسبه :

في السابع والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة 1300م ولد سرين مسامبا في قرية بطار على المشهور بعد وفاة والده موماربا أنت سالي، من أسرة عريقة ومعروفة بين جلف وبول وكجور، فوالدته هي السيدة الكريمة عائشة جوب بنت الشيخ مور خج كومبا، وجده من جهة أبيه هو حبيب الله بن مهرم الشهير.

رحلته الدراسية :

كان سرين مسامبا يتمتع برعاية كبيرة من قبل أخيه الكبير الشيخ أحمد بامبا الذي عهد بتعليمه القرآن إلى المعلم الفذ الشيخ عبد الرحمان لوه. فمكث في حجره حتى حفظ القرآن ولم يتجاوز السن العاشرة ثم كتب بيده مصحفا تحت إشراف أخيه الشيخ إبراهيم امباكي، وقرأ عليه بعض مبادئ العلوم الشرعية، وبإذن

من شيخه وأخيه انتقل إلى العلامة والمفتي سرين امباكي بوسو لدراسة علم المنطق وأصول الفقه وعلم النجوم.

وقد فتح الله على سرين مسامبا فأعطاه سرعة الفهم وحدة الذكاء، ولم ينقص اشتغاله بالخدمة والتربية شيئا من اهتمامه بالعلم والدراسة. وقد يكون ذلك راجعا إلى ارتباطه الوثيق بالشيخ الخديم الذي كان من أبرز مبادئه الجمع بين العلم والعمل، بين النظرية والتطبيق.

علاقته بالشيخ الخديم ودوره في الدعوة :

لا يحتاج ذلك الارتباط إلى تطويل الكلام، فقد تولى الشيخ بنفسه تربيته وتأهيله وسلك به طريق التصفية والترقية

وذلك أوصله بعون الله على مرتبة الشيخ المربي وأحال إليه عددا كبيرا من التلاميذ.

وهكذا كان سرين مسامبا أخا وفيا وتلميذا مخلصا ومريدا صادقا للشيخ وموضع ثقته. ولذلك كان مقربا إليه، وكان المربي يعهد إليه بمهمة نسخ قصائده ومؤلفاته. قال عنه أحد الشعراء.

بكت قصائد محيي الدين أحمدنا

لأجله وبه نلنا المرامات

وإلى جانب ذلك كان سرين مسامبا مربيا من طراز فريد بفضل الإعداد والتربية والمستوى العلمي الرفيع.

فقد قام بتربية وتكوين عدد كبير من مربين انتشروا في جميع الأقطار متميزين بسلوكهم الحسن وإرادتهم الصادقة وتفانيهم في خدمة الإسلام.

ثقافته وكتاباته :

كان سرين مسامبا فقيها، صوفيا، أديبا، واسع الثقافة، كثير الاطلاع، وكاتبا أخذ بتلابيب اللغة العربية.

وقد تأثر في أسلوبه بالشيخ سلامة ورقة وتناسقا. وكان يميل إلى العبارات الوجيزة المشبعة بالمعاني الجليلة نتيجة تشربه بأقوال الشيخ ومواعظه، ويكفيك أن تلقي نظرة على

حكمته البالغة هذه وما فيها من إ يجاز بليغ {معرفة الحق اتباعه، ومعرفة الباطل اجتنابه}.

وكان شعره يغلب فيه النصح والتوجيه كما في هذه القطعة التي نظمها للشاعر المؤرخ سرين موسى كاه ومطلعها :

عليك يا موسى بتقوى الله

وعدم الغفلة عن إلهي

بقدر غفلة عن الله المعين

تأتيك ظلمة من الخب اللعين

وله رسائل لا تحصى كثرة كان يوجهها إلى المريدين وتدور كلها في فلك تلك التعليمات الإسلامية والتوجيهات الشرعية. وهذه شهادة ناطقة بأن سرين مسامبا رضي الله عنه كان يقوم بمهمة الشيخ المربي الذي كان ينبغي أن يهتم بأمر المسلمين تنفيذا لأوامر شيخه ولهذا كان يحظى بصداقة وتقدير علماء عصره.

أقوال العلماء فيه :

مدحه كثير من شعراء عصره ورثوه بعد وفاته، ولضيق المساحة نشير إلى جزء قليل من ذلك يقول عنه الشاعر المفلق الشيخ إبراهيم جوب المشعري:

إ ن كان أصغر إخوان الخديم معا

فإن همته من أكبر الهمم

لاعيب فيه سوى تقوى الإله وإخ

دام الخديم بلا ميل ولاسأم

وقال الشيخ محمد الفاضل في مرثيته :

رحب الفناء جميع الناس بالغه

إن هم فرادي ومثنى أوهم اختلطوا

حامي الذمار وفي العهد حافظه

كأن هذا الورى في كفه انضبطوا

إ ن لأحاديث هذا الشيخ يجمعها

فظا صحيحا ولا تلفيه يختبط

هذه الأبيات من مرثية طويلة كتبها الشيخ عن سرين مسامبا حين وصله خبر انتقاله إلى جوار ربه ليلة الخميس التاسع من

رجب 1261هـ {1942/7/22} رضي الله عنه وجزاه عن الإسلام خيرا.

6- الشيخ سيدي المختار {بروم غاوان}

بقلم / السيد خادم امبكي شيخو

إن الشخصيات التي خرجتها المدرسة الخديمية، بعد أن تعهدتها بالعناية العقلية والروحية، لتمتاز بالتنوع والغنى في نماذجها؛ فالقراءة الفاحصة فيها تؤكد تفرد كل بخصوصيات تقيم حدودا وفواصل تكاد تتمحى معها علاقات الانتماء لمشرب واحد لولا ما يطفو على السطح من سمات جامعة.

ولعل هذا التنوع يعكس شعور المدرسة باحتياج الساحة الإسلامية إلى التخصص في الأداء والعمل.

والشخصية التي نقدمها اليوم تمثل نمونجا فريدا في بابها سجل لها التاريخ مواقف جليلة في حقل العمل الإسلامي، بما أسهمت في دعم حركة الشيخ أحمد الخد يم التجديدية وجهوده الإصلاحية من جميع النواحي، وعلى الأخص الناحية التمويلية.

التعريف به :

هو سيدي المختار مبكي المشهور ب بروم غاوان شيخ أنتا المولود في قرية بوروخان بسالم عام 1285ه الموافق لعام 1863م،{وقيل 1866م} من الوالد الشهير القاضي مومار أنتا

سل، والأم الكريمة مام أست والو مبكي المعروف ب مام أنتانجاي فهو من أبيه أخ للشيخ الخديم – رضي الله عنه– الذي يكبر عنه بحوالي 15 سنة، ومن أمه ابن عمة له.

تعليمه :

حفظ القرآن على أيدي مشائخ مقرئين، أشهرهم وأكثرهم إقراء له وتحفيظا الشيخ عبد الرحمن لوح وأخذ العلم من أخيه الأكبر مام مور جاره ثم التحق بالشيخ الخديم – رضي الله عنه – مفضلا ملازمته.

تربيته :

ينظر "شيخ أنتا" إلى أخيه الشيخ أحمد فيراه شخصية ربانية، وقدوة روحية تصلح بملازمتها الأحوال، وتستقيم بموافقتها الأعمال، فسارع إلى الارتباط بها منذ أن ميز وأدرك، يترصد أوامرها بالامتثال، ويتوسم مرضاتها في كل فعل ومقال، فهو من أوائل الذين رافقوا الشيخ للتربي على يديه

وقد أولى الشيخ رضي الله عنه لتربيته اهتماما خاصا، وأعده لما كان ينتظره من أدوار لم يكن لتستغني عنا حركته خاصة، وأهل تربيته عامة0 وقد أبدى هو قابلية وتجاوبا لذلك على أعلى المستويات، وأصبح، فيما بعد، من خواص

مستشاري الشيخ وأهل اعتماده، كما يتبين من وثائق مراسلاتهما

أبعاد خاصة لشخصيته :

إن الوقوف على الأبعاد والجوانب المختلفة لشخصية "شيخ أنتا" يجعلنا ندرك، في قناعة ثابتة، بأننا، في الحقيقة، أمام طراز نادر في وسطه

غير أننا نقتصر على الإشارة إلى بعض مما يعتبر من تلك الجوانب خاصة : –

شيخ أنتا" رجل الأعمال والثري :

على عادة القادة أركان الطريقة الذين تأهلوا على يد الشيخ رضي الله عنه وتصدروا للتربية، قد كان شيخ أنتا مربيا روحيا تخضع لقيادته وإدارته معسكرات تربوية عديدة يمارس فيها أهل تربيته إنتاجا زراعيا ضخما كنشاط مساعد، لكن يبدوا أن هذا الدور التقليدي السائد بين نظرائه لم يكن ليرضي طموحا كان يستكن بين جنباته، ويتفاقم مع تصاعد أنفاسه

فأمامه هذه الحركة الوليدة التي لا تزال تتعثر بين العقبات والمضائق، يتزعمها أخوه وشيخه، والحساد والمستعمر له بالمرصاد وأهل تربيته في حصار واضطهاد إلى جانب ما

يحيط من مطالب الدنيا من الموالاة والمداراة، ولوازم الدين من البر والمواساة.فالضمير لا يستريح بالوقوف

عاجزا أمام هذه وتلك من منغصات ومكدرات، وليس من سبيل إلى خروج إلا بضمان قدر من الاكتفاء المالي ذاتيا يحد من غلواء الموقف

يقيم "شيخ أنتا" الوضع هكذا، فيقتحم مجال الاستثمار والعمل الحر، يستورد، ويضارب في الأراضي، ويدخل في علاقات تجارية واسعة مع أصحاب رؤوس الأموال، بمن فيهم الأجانب، ليصبح من أهم كبار رجال الأعمال : يملك عقارات عديدة داخل الوطن وخارجه، ويقتني قوافل من السيارات وسلسلة من المحلات التجارية، حتى اعتبر في عام 1919م أكبر ملاك للسيارات وأثرى رجل في البلاد وقد سخر "شيخ أنتا"كل ذلك لخدمة المسلمين وصالح المريدية كما سيأتي :

شيخ أنتا رجل السياسة :

لم يكن "شيخ أنتا" بعيدا عن مسرح الحياة السياسية، بل كان يراقب تطوراتها الهامة، يتابع الأخبار، ويستنطق الصحف عن طريق سكرتيره الخاص، بل كان يحاول التأثير في مجرى السياسة، ويعمل على ترجيح كفة على أخرى حسب إملاء الموقف والمصلحة الظاهرة؛ وقد وقف مرة إلى جانب "غلا ندو

جوف" في انتخابات البرلمان الفرنسي لاختيار النواب الأفارقة فيه، وعمل على تمكينه من ترشيح نفسه

نفيه إلى "سيغو" :

ولأن "غلا ندو" كان المعارض لبليس جانج في تلك الانتخابات فقد اغتاظ الأخير لموقف "شيخ أنتا" هذا، ولفق ضده تهما تتعلق بالسيادة، وأمن الدولة، وقوانين الملكية، وأصدر على ذلك أمرا بإيقافه ثم نفيه إلى "سيغو" بدولة مالي الآن وذلك في الفترة ما بين (1929-1935م) وفي بيان كتبه العلامة الشيخ مبكي بوسو على لسان الحق سبحانه وتعالى يبرر فيه موقف شيخ أنتا وأنه موقف بريء، لا ينطوي على سوء نية ضد أحد، إشارة إلى هذه التهم، وأنها ملفقة عليه للكيد به، كما فعلوا بأخيه، فله فيه أسوة ؛ ثم اعلموا أني الذي خلقت شيخ أنتا على خلقته عليه من سلامة الصدر، ورقة القلب، وخلو البال، وخولته ما خولته، وجبلته على الإنفاق مما رزقته يمينا وشمالا، ليلا ونهارا، لا يميز في ذلك صديقا ولا قريبا من بعيد، إنه مجبول على ذلك لا كسب فيه، فلو أن أعداء خليله أتوه من الجهة التي أتاه هو منها لنالوا منه ما نال، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فرموه بما رموه مما لا يليق ولا أعلمه فيه منذ خلقته، فاشكر لي يا "شيخ " بالصبر على ما قيل فيك وتعلم أنك بريء منه، فإني

مع الصابرين، - ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون

في الحقيقة أن هذا البيـان يتجـاوز حـدوث التبرئـة وساحتها إلى مشاطرة الحزن والأسى، والتعبير عـن المـرارة والامتعاض من

مسلك "بليس" الجائر، كما يجسد هذا البيان عمق العلاقـة وقوة الصداقة التي كانت تجمع "سرين امبك" بـشيخ أنتا"

خدمته وآثاره :

كرس "شيخ أنتا" حياته كلها لتقديم خدمات تعـود بـالنفع العميم لصالح المسلمين، ولازدهار الطريقة، وارتفـاع معانـاة الأتباع، كما سبقت الإشارة، وأعد ما استطاع من قـوة المـال ورباط البذل، وخاض معارك الإنفاق، وجال فيها وسال، وأبلى بلاء حسنا، جاعلا قوله تعالى : "وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه شعاره الذي يرفرف به عمله

فكم أقال من عثرات، وأزال من عقبات، وأحيـى مـن عهود وصلات، وعالج من مواقف محرجات بمـا يسـر مـن تمويلات، وهيأ من نفقات، وما أشار من رؤى ونصائح حكيمات

والشواهد التي يمكن سوقها لا يكاد العـد يحصـيها، أو الحصر يأتيها، فنكتفي بها بما يسع له المقال، ويستسيغه المقام، على شكل إشارات، دون خوض في تفصيلات

من ذلك أنه :

1) في إحدى سنوات القحط، يوزع على الأهـالي والسـكان حمولة سفينة من الأرز تقدر بـ 125000! طنا، معونات غذائية تساهم في تخفيف المعاناة

2) ينفق على المرافق الدينية، ويصونها عن أيدي الطغـاة، ويحفظ للمسلمين وسائل تأدية شعارهم

3) و يرفع المعاناة عن أهل العوز والفاقة

4) يساعد صغار التجار ويقدم لهم تسهيلات

5) ينوب عن الشيخ في تقديم ما يلزم من أنواع البر لأقربائه والقاصدين لساحته من علماء وصالحين

6) يقدم هدايا، من أموال مختلفة، لذوي القرابة من الشـيخ، وللعلماء وأهل التقوى، توسلا بأدعيتهم لعل الله يلطـف علـى العباد ويرفع ما نزل بالمسلمين وبالأتباع من الهم والغم بسـبب نفي الشيخ وتغريبه

7) يتوسط لدى الحكام الفرنسيين، ويقدم هدايا لهم، بغرض الاستخبار عن الشيخ، حينا وطلب السماح برجوعه حينا آخر

8) يدعم المواصلات، ويشق الطرق بين منـاطق تواجـد الأتباع وبين محل إقامة الشيخ الجبرية في "جوربل" تخفيفا لحدة الحصار

9) يطبع أول مجموعة من قصائد الشيخ رضي الله عنه

يعمل على تحقيق إحدى أمنيات الشيخ الثلاث التي حال القدر بينه وبينها طوال حياته المباركة، والتي تتمثل في (إقامة مسجد الجامع بطوبى، وبناء مدرسة عليا تكون قبلة لطلاب العلم من كل الأنحاء، والحج إلى بيت الله الحرام)

يدرك "شيخ أنتا" مكانة هذه الثلاثة في قلب شيخه، وخاصة الأخيرة التي أكثر الحديث عنها بحيث لم يعد سرا لا يناجي به إلا خواصه، بل كان يحادث به علنا كما يشكو من ألم إلحاحها

سرا، على درجة أصبح معها سائغا وجائزا اعتبار ذلك إذنا عاما يتعين بالمقدرة، وهي شرط يتوفر لديه

فعلى هذا، يتشمر "شيخ أنتا" ويتكفل بهذه الأخيرة ويعد لها العدة والعتاد، ويحتاط لها أعظم احتياط، ويختار لها بعثة تضم من أهل الصلاح والتقوى والقرابة صفوة يقع بهم الاطمئنان على كمال الأداء وصحة النيابة

بعثة الحج وأعضاؤها :

ضمت البعثة في أفرادها كلا من الشيخ/ محمد الفاضل مبكي نجل الشيخ رضي الله عنه والشيخ مبكي بوسو،

وابنه/ سرين مولاي بوسو، بالإضافة إلى شيخ أنتا ممول البعثة ومجهزها، وابنه سرين تاكو مبكي، وطائفة من الكتبة والأعوان

وكانت الرحلة في عام 1928م وقد أرخ لها الشيخ محمد الفاضل مبكي من أول الانطلاق إلى يوم القدوم، وذكر المحطات والمزارات، ووصف الأحداث الجليلات والصغيرات

علاقاته :

كان الشيخ أنتا يتمتع بعلاقات متميزة مع كافة الأطراف؛ فعلاقته مع الشيخ بدأ منذ الطفولة كما مر، ولم تزل في ازدياد العمق والتوطد، وفي علاقة حب متبادل، يغذيها روح يلتمس المؤانسة في الله وإليه

أما علاقته بالأقرباء وبمن كان يجمعه بهم وحدة المشرب من أعلام الطريقة فحدث بها ولا حرج، فقد كان الجميع يكن له

. الحب والتقدير والاحترام بدون استثناء، وإن كان "سرين مبكي بوسو" والشيخ محمد الفاضل ينفردان بامتيازات في هذه العلاقة0 فقد أبدى كل منهما تأثره الخاص بقرار إبعاده، أظهر تعاطف الصديق الحميم، ومساندة الشفوق الحليم،فقد مرت عليك شهادة الأولى في دلالاتها العميقة، كما شاعت زيارة الأخير له في منفاه بـ "سيغو" وتبشيره بانتهاء محنته وقرب عودته

أما علاقاته الخارجية ،فقد حتمتها عليه معاملاته التجارية، فارتبط بالأجنبي ارتباطه بالمواطن

الختام :

هذا قليل من كثير آثار علم من أعلامنا الشامخة، تظـل أعماله تشهد له بعلو الهمة.وصدق العزيمة، وبعد النظر وسعة الأفق، والتفاني في الخدمة للشيخ، وللأتباع والمسلمين عامة مما يجعله في مصاف الطلائع والركائز التي عليها الأســاس الأول للطريقة

بل إن أهمية شخصيته ووزنها داخل المنظومة الأولــى للحركة تعود بذاكرتنا إلى موقف الخليفة الثالث سيدنا عثمــان رضي الله عنه المنعش للنشاط العسكري للدولــة الإسلامية الأولى والداعم لها في مواجهة الأزمات المالية

ومكانته المتميزة من الشيخ رضي الله عنه والتــي يظل رمزا لها اختصاصه بنزوله عنده في دار السلام (أول قرية بناها) لنفسه ثم عهد بها إليه إثر رجوعه من الغيبــة البحريــة وإقامة أول ضيافة عامة له (1) استقبل فيها جمــوع الأتبــاع، وعموم الزوار، تؤكد هذه الأهمية الخاصة

وتوفي رضي الله عنه ودفن في دار الســلام، فــي 1941/1/1م، وخلفه في الإمارة والعمارة الشيخ محمد المأمون أكبر أبنائه، ثم من بعده إخوته الذين لا يزالون يتعــاقبون علــى كرسي الخدمة والتجديد.

فجزاه الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرا، ونفعنا بحسن الاقتفاء لآثارهم

7 - الشيخ مام مور جاره {أبوه شام}

بقلم / سام بوصو عبد الرحمن

من المعروف أن الشيخ الخديم – رضي الله عنه – لما أعلن بدعوته إلى الحركة الإصلاحية المعروفة فيما بعد بـ "المريدية" استجابت لدعوته فئات متعددة ذات انتماءات مختلفة وأعمار متفاوتة، من عشيرته الأقربين ومن البيوت الملكية ومن أوساط رجال العلم والدين، كل هذه الفئات على اختلاف أنواعها، انصهرت في بوتقة واحدة وحملت الدعوة بفعالية وانسجام تام، وذلك بفضل تربية الشيخ الفعالة، وبفضل ما من الله عليه من العناية الإلهية.

ومن أكبر امتيازات الدعوة الخديمية – بخلاف ما تعودنا عليه في تاريخ الدعوة الإسلامية – استجابة أقرباء الشيخ السريعة له والتفافهم حوله كأبناء أعمامه وأبناء أخواله وإخوانه أنفسهم.

ومن هؤلاء الإخوة المخلصين شقيقه الأكبر الشيخ ممر جاره الذي نحاول في هذا العدد من رسالة الأزهر تقديم نبذة وجيزة عن حياته الحافلة.

ميلاده ونشأته:

ولدالشيخ مام مور جاره {بروم شام} في قرية "امباكي بولْ" التي أسسها الجد الكبير مهرم امباكي حوالي 1194ه الموافق 1789م ولد الشيخ محمد جاره فيما بين {1850 – و 1851} من أسرة طيبة متدينة مشهورة بالعلم والصلاح : فوالدته كانت يضرب بها المثل في التقوى والعبادة حتى أطلق عليها لقب {جارة الله}مريم

بوسو إشعارا برفعة مقامها. وأما والده مام مور أنت سالي فقد كان ممن يشار إليهم في العلم، وكان يشرف على مدرسة عريقة شهيرة يؤمها طلبة العلم من جميع أرجاء البلاد، وفي حجر هذه الأسرة الكريمة نشأ وترعرع حتى بلغ سن التعلم، فشرع في دراسة كتاب الله العزيز على يدي والده حتى أتقنه حفظا وتجويدا ورسما، ثم درس العلوم الإسلامية على يدي خاله العلامة الشيخ محمد البسوبي، وفي أيام المجاهد {مبه جاخوبه} هاجرت الأسرة معه إلى "سالوم" شأنهم في ذلك شأن علماء "كاجور" "وباول". ولما استشهد المجاهد عاد الشيخ الوالد مع الملك لتجور جوب إلى كجور وعاد الشيخ محمد جارة إلى ضواحي امباكي بول، حيث أسكنه والده وأبقى معه عددا من تلاميذه يقوم بتربيتهم وتعليمهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم،

بعد ما تلمس فيه الأهلية الكاملة لذلك.

علاقته بأخيه الشيخ الخديم ودوره في الدعوة:

حينما شرع الشيخ الخديم "ض" في مباشرة مهمته التربوية الجليلة كان أخوه الشيخ محمد جارة قد تأهل بشكل كامل للقيام بدور هام وقيادي في حياة الحركة المريدية؛ فقد شارك إلى جانب الشيخ الخديم في إعداد الجيل الأول من الأتباع الذين حملوا فيما بعد مشعل التربية ونشروها في طول البلاد وعرضها.

في الواقع تعلم كثير منهم على يدي الشيخ محمد جارة أمثال الشيوخ: إبراهيم فاط، وسيدي المختار، ومصمب امباكي ومحمد الفاضل امباكي، وامباكي بوسو، وكثير غيرهم ومع ذلك فقد بايع الشيخ الخديم على سلوك طريق الإرادة فجدد له الشيخ الورد القادري، وكانت ترقيته في مدة يسيرة قبل الغيبة البحرية.

كما كان الشيخ محمد جارة أثناء غيبة الشيخ البحرية يشرف على أمور الأسرة على أكمل وجه، وفي الرسائل التي كان يتبادلها مع الشيخ دلائل واضحة على متانة ثقة أخيه به، وعلى حسن قيامه برعاية الأهل {انظر المجموعة صفحة 94} وقد كتب الشيخ تيورو امباكي أحد إخوته عنه

فقدنا والدا من قبل لكن ... نسيناه به كثر الخيور

وإلى جانب هذه المهام الكبيرة كان الشيخ محمد جارة قد أسس قرى كثيرة لتربية الأتباع على العبادة والعمل حتى تخرج على يديه عدد لا يحصى من المريدين ومن تلك القرى شام – مصر في غرب وشمال المدينة المحروسة طوبى.

بفضل البيئة الصالحة التي نشأ فيها الشيخ محمد جارة والتربية الدينية التي تمتع بها منذ نعومة أظفاره، وارتباطه الوثيق بأخيه الشيخ الخديم – رضي الله عنه – بفضل ذلك كله كان الشيخ محمد جارة متحليا بأخلاق وصفات نبيلة جعلت معاصريه يكنون له كل المحبة والتقدير والاحترام.

فقد كان رضي الله عنه من فرسان العبادة والزهد، كان ورده مائة ركعة كل ليلة {منن الباقي القديم} يقول عنه الشيخ **محمد دم:**

ذاك ابن بل حبيب الله عابده

محيي الليالي بأوراد سنيات

كما كان – رضي الله عنه – في الإعطاء والإطعام لا يشق له غبار، يقول الشيخ محمد المصطفى امباكي عن عمه :

{غيث الأرامل والضعاف جميعها
في عسر او يسر لوجه الرازق}
جمع المفاخر والعلى مذ هب حت
تى شاب منه بعد سود مفارق

والمقام يضيق عن إيراد مزيد من الأقوال عنه وللتوسع راجع {تحفة الأنام في سيرة بروم شام}للسيد عبد الكريم مبكي

هكذا ظل الشيخ محمد جارة يكرس حياته كلها في عبادة ربه وخدمة المسلمين وتربية المريدين حتى انتقل إلى جوار ربه في شوال 1339هـ 1921م فبكاه جميع المسلمين وخاصة أهل الشيخ الخديم- رضي الله عنه – وقد رثوه بمراثي كثيرة تعبر عن مدى حزنهم ومدى تقديرهم لخدمته الجليلة لصالح الإسلام والمريدية يقول الشيخ محمد الفاضل في مرثيته :

وفاة الشيخ أحمد جار أمر   عظيم من ملمات الدهور

ألا قد كان في اللأواء ركنا   مشيدا باللطافة والحبور

وقد كان المعد لكل خطب   جليل في خفاء أو ظهور

إلى أن قال :

وهل للقصر "بكة" أن ألمت   بهم شهباء من سند مجير

وأما العلامة الغدوي الشيخ امباكي بوسو فقد أرخ وفاته بقوله :

ثم الأغر شيخنا ابن جاره في   *طلسش صبحا* قضى أوطاره

أي في عشر شوال 1339 هـ جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير جزاءه وأيد خلفاءه

8 - الشيخ إبراهيم سار

بقلم / سام بوصو عبد الرحمن

الشخصية التي اخترناها من المدرسة الخديمية تعتبر من الرعيل الأول ومن السابقين الأولين من أتباع الشيخ الخديم {ض} الذين بايعوه على السمع والطاعة منذ انطلاق دعوته الإصلاحية فتربوا على يديه ثم حملوا شعلة تلك الدعوة في فترة الشدائد والأزمات فما ازدادت إلا توقدا وضياء. هو صاحب الهمة الرفيعة والأدب المرضي الشيخ إبراهيم سار بن الشيخ مالك سار.

ولد في قرية {انجانج بمنطقة "لوغا"} حوالي سنة 1850م {1267}هـ ، وفيها نشأ تحت حجر والده الذي كان شيخا صالحا من شيوخ الطريقة التجانية. وكان الشيخ إبراهيم متميزا عن إخوته وأقرانه بعلو الهمة، وكان يشعر منذ أن بلغ أشده أن حياته في تلك البيئة الصوفية لم تكن لترضى طموحه ويشفى غليله وتبلغه مراده.

فما زالت هذه الهمة العالية تحركه وتقض مضجعه

وتدفعه إلى السياحة وجوب الأفاق بحثا عــن الشـيخ المربــي المرقي الموصل إلى الله بالتربية والترقية والتصفية

والتقى أثناء سياحه بفارس من فرسان الهمة الباحثين عن الحقيقة التائهين في فيافي المحبة والشوق: الشيخ آدم غي وهــو ينشد الضالة نفسها يتلمس آثار ذلك الشيخ المربي المؤهل لتجديد الدين وتصفية الأرواح وتصقيل الهمم، فحدثتهم العناية الإلهية إلى أحمد بن محمد بن حبيب الله، وكان قد أعلن منذ عهد قريب عن

قيامه بتحمل أعباء التربية والتجديد وإنقاذ الأمــة مــن الوهدة المظلمة وإصلاح ما هم فيها من الفساد بمنهج تربــوي جديد لم يتردد الرجلان في إلقاء زماميهما بــين يــدي الشـيخ ومبايعته بالإخلاص والصدق. ومنذ تلك اللحظة السـعيدة لـم يتوان الشيخ إبراهيم في امتثال أوامر شيخه واجتنــاب نواهيــه وفي تحري مرضاته في حركاته وسكناته ولم يخالفه في صغيرة ولا كبيرة؛ وقد أبلى أحسن البلاء في خدمته وخدمة دعوته، لزم الشيخ ولم يفارقه : انتقل معه من {بك كجور} إلى {بك بول} إلى طوبى حيث أسكنه الشيخ وعهد إليه قيادة عدد مــن المريــدين. أصبح الشيخ إبراهيم يضرب به المثل في رسوخ العقيدة وصدق الإرادة وإخلاص الخدمة، إلى أن فاز بما يتمناه كل سالك، ومــا أعظم ما فاز به! فقد سجل له شيخه بأناملــه الشـريفة شـهادة

الشكر والرضا حفظها التاريخ ولن ينساها وفيما يلي مقتطفات من تلك الشهادة التاريخية {... من عبد الله تعالى الغني به عن كل ما سواه أحمد بن محمد بن حبيب الله إلى الأخ الذكي والمريد الرضى والخل الوفي إبراهيم الأنصاري... موجبها أن يكون في حزمك ويقينك أننا رضينا عنك رضى لا سخط بعده... ولذا قلت من البسيط.

جزاك يا خل إبراهيم مولاكا

خير الجزا ومنى داريك أولاكا

فاعلم بأنك عندي ذو رضى أبدا

وذاك ربحك في الدنيا وأخراكا

فدم على الصدق والإخلاص مجتهدا

في السر والجهر كي تنمو مزاياكا

وبعد أن ربح الشيخ برضى شيخه أصبح محل ثقته وموضع أسراره وكان ممن ائتمنهم على تولي تربية المريدين أثناء غيبته البحرية كما أثبته المؤرخ الشيخ موسى كاه ولعب دورا جديرا بالتقدير في حفظ أمانة الشيخ إلى أن عاد دون ضياع أو فساد.

وكان المريدون الذين ضمهم الشيخ تحت لواء الشيخ إبراهيم يتميزون بحزمهم القوى وتفانيهم في خدمته، لم يقفوا أمام أي تحد مهما بلغت هولته و أبلغ شاهد على ذلك إنجازهم

الكبير في حفر البئر المباركة {عين الرحمة} في طـوبى فـي ظروف من أصعب الظروف وأشدها حرجا بعيد عثور الشـيخ على.البقعة المباركة وهي لم تزل غابة عذراء وفي هذا البئـر يقول الشيخ الخديم مبتهلا :

ضم فواد شارب منها إلى أفئدة الذين فازوا بالإلى

هكذا ظل الشيخ إبراهيم مخلصا لشـيخه ولدعوتـه معتكفا علىالتربية والعبادة والعمل الـد ائـب فـي تعمير الأرض بالفلاحة في قراها التي بناها للتربية أمثـال {تيـار جموي وتنفيل} وغيرهما، وقد ظهرت على يديـه الإجابـة والبركات وتحدثت الركبان بمآ ثـره وفضـائله وخصـاله الحميدة. ها هو العلامة الجليل الشيخ مصمب امباكي يقـول في مدحه :

إبراهم الفرد قد أبدى العجبيات

من المناقب خيرات غريبات

أم المريدين من جود ومن كرم

أبو هم بل إمام بالعلوات

هما مهم في الندى أو فاهم أبدا

أزكاهم حسبا من ذي الحلاوات

مأوى المناقب بالإطلاق في أبد

مقدم الجيش في أعلى العنايات

وقال عنه الشاعر المفلق أحمد جوباخا

لإبراهم فضل لا لأهل العصر شرواه

وفي هذه القصيدة شاهد قوي على أن الشيخ إبراهيم كان طويل الباع في العلوم الشرعية حيث يقول :

لمستفت ومستقض درايات بفتواه

وقال العالم الموريتاني الشيخ السجاد في مدحه :

فتى حاز فخرا بالسيادة والتقى

كريما على حين الكرام قليل

ألا كملت فيك السيادة والتقى

وعد خصال الخير فيك طويل

ولا يسع المقام لتعداد مناقبه وذكر ما قيل في تخليد مآثره. وقد كانت علاقات الشيخ إبراهيم بالشيوخ والعلماء علاقات وطيدة وحميمة بفضل ما كانت فيه من الأخلاق الكريمة.

ولما انتقل الشيخ الخديم إلى مقره في جربل استقدمه من انجانج حيث كان أتباعه يتعرضون لاضطهادات كثيرة، فأسكنه بجواره شمالي المسجد الجامع حيث مكث بقية أيامه إلى أن انتقل إلى جوار ربه سنة 1918ميلادية وشيخه عنه راض رضي لا سخط بعده فأمر بحمل جثمانه إلى مقابر طوبى

المحروسة وهو من أوائل من دفنوا في تلك المقابر بـــإذن مـــن الشيخ الخديم رضي الله عنه وجزاه عن الإسلام خيرا.

9 - الشيخ مسامبا جوب سام

بقلم / سام بوصو عبد الرحمن

يعتبر الشيخ مسامبا من السابقين الأولين، من الرعيل الأول من أتباع الشيخ الخد يم الذين لبوا دعوته في البداية وبايعوه على السمع والطاعة مسلمين له أزمة أنفسهم فارتووا من مناهل تربيته الصافية وارتقوا إلى المقامات الرفيعة، فاهتدوا وهدوا وجاهدوا في نشر مبادئ الشيخ وتعاليمه فاستحقوا بذلك كله أن نستخلص دروسا من حياتهم الغنية.

ميلاد الشيخ مسامبا :

ولد الشيخ مسامبا في منطقة (كجور) حوالي سنة 1851 ويوجد قبر والده الشيخ ميسا جوب في قرية (تييل) قرب دار (فناي) في منطقة (كجور) أيضا.

وكان منذ صغره مولعا بالعلم وأهله، وكان يتردد إلى قرية (سام) حيث يقطن الشيخ مور بتور صار وهو رجل صالح مشهور بالتبحر في العلم والتدين، كانت بينه وبين (مام مور أنت سل) والد الشيخ الخد يم علاقة وثيقة من الصداقة والتحابب في الله ولذلك كان هذا الأخير يأتيه للزيارة والصلة بين الحين

والآخر.

والشيخ مسامبا كان يتلقى العلم في قرية (بـالين) قـرب (سام) ولكنه كان يتردد إليها للاستزادة من المعرفة.

لقاؤه بالشيخ الخد يم وملازمته إياه.

أثناء زيارة من تلك الزيارات كان الشيخ مام مور برفقة ابنه الشيخ الخد يم. وكعادته أتى الشيخ مسامبا إلى القرية وبيده كتاب،

وهناك تقابل مع الشيخ وتجاذبا أطراف الحـديث حـول بعض كلمات في الكتاب ثم فارقه راجعا إلى (بالين) وبعد هـذه المقابلة لم تغادر صورة الشيخ خيال هذا الباحث عن المعرفـة، فكأن بصيرته الوقادة أدركت في الوهلـة الأولـى أن ضـالته المنشودة توجد في ملازمة هذا الشيخ.

وهكذا انطلق مسامبا يبحث عن مكان الشيخ حتى وصل به التطواف إلى (بطار) حيث يسكن والد الشيخ، فوجد الشـيخ أحمد في مدرسة الوالد ولازمه منذ نلك الحين، رغم معارضـة أهله في أول الأمر لظنهم أنه وصل إلى مستوى علمي لا يليـق معه أن يلازم شيخا آخر.

من هنا ندرك أن الشيخ مسامبا كان من أوائـل الأتبـاع الذين رافقوا الشيخ الخد يم وتربوا على يديه.

علاقته بالشيخ وجهاده في دعوته :

كان هذا اللقاء قبل أن يصدع الشيخ بدعوته الإصــلاحية على الملإ وعزمه على سلوك طريق (التربية بالهمة) والتصفية، ثم جدد الشيخ مسامبا المبايعة فور إعلان الدعوة، ومنذ ئذ ارتبط بشيخه ولازم خدمته بكل إخلاص وتفان وحب. فخاض الشـيخ معه مراحل الطريق ورقاه إلى المقامات الرفيعة.

ولما أكمل تربيته أذن له الشيخ في بناء دار له قرب قرية سام فسميت (دار السلام)، وهناك انعزل الشيخ مسامبا مع عدد بسيط .

من الأتباع، يعلمهم ويربيهم تربية إسلامية سليمة وفقـا لمبادئ مؤسس الطريقة :

يهذب أخلاقهم ويدربهم على العبادة والعمل، ويزيل فيهم الكبر والعجب والجشع والحرص على حطام الـدنيا، ويغـرس فيهم التواضع والزهد والإيثار وغيرها من الصفات التي بعـث النبي ليتممها.

وقد فتح الله على الشيخ مسامبا ببركة شـيخه فـازدادت الأتباع كثرة، يقبل إليه الأعداد الغفيرة من كل حدب وصـوب. فكان يقوم بأعباء تربيتهم وتوجيههم وإرشادهم إلــى الصـراط المستقيم خير قيام. وكان إلى جانب ذلك يرسل إلى الشيخ الخـد يم في جربل هدايا تبهر العقول كثرة بدون انقطاع كما وصــفه

الشاعر الشيخ إبراهيم جوب المشعري بقوله :

ومنه رسل ترى تترى لسيدنا ال

بكي في كل وقت وهو قد نصرا

وقد حظى الشيخ مسامبا بفضل إخلاصه برضى الشيخ الخديم ومحبته وثقته.

وفي المراسلات المتبادلة بينهما ما تؤكد ذلك، ومنها هذه الرسالة من الشيخ الخد يم إليه :

(لبسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده).

مسامبا جوب اعلم بأني ما رافقتك في هذا المسير إلا لإصلاح أمرك في الدنيا والآخرة فطب نفسا

وقر عينا. وأما مرضك الذي لاقيته في (داباي) فما أوجبه إلا تخليتك من جميع عيوبك التي تحب فراقها، لا تحزن ولا توجل في شيء في الدنيا والآخرة في نفسك وفي عيالك جميعا.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يرضى عنك وعن جميع عيالك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

بعض صفاته :

سأله الشيخ الخد يم مرة عن أحب شيء إليه ليدعو الله له فأجاب بأن أحب شيء إليه هو : كمال العقل وتمام الإنسانية.

فإلى جانب رجاحة العقل وسداد النظر كان الشيخ مسامبا يتميز بصفات حميدة كثيرة يصعب حصرها، منها الحرص على نفع الخلق والسخاء والشجاعة وحب العمل وعلو الهمة والاهتمام بأمر المسلمين وبصفة خاصة أمر المريدين الذين تربوا على يديه : فقد كان بعد تربيتهم يساعدهم على إقامة بيوت خاصة بهم ويتكفل بتكاليف زواجهم، وقد سار – بحمد الله – أبناؤه على هذا الطريق القويم.

انتقاله إلى جوار ربه في دار سام :

أصبحت (دار السام) قرية معمورة يغشاها الزوار ليل نهار للظفر بمقابلة من الشيخ فيقضي الحاجات ويزيل الهموم

وينشر الحكم بين الواردين، ودام على هذه الحالة سنوات عديدة مباركة.

وكان الشيخ الخد يم قد أرسل إلى دار السام كبار المريدين الأوائل قبيل انتقال الشيخ مسامبا إلى جوار ربه سنة 1926 لتشييعه إلى مثواه الأخير في قريته وقد صلى عليه الشيخ إبراهيم فاط رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

الشيخ محمد جوب هو الخليفة الأول.

تقلد الشيخ محمد جوب خلافة أبيه بعد أن سار على خطواته حذو النعل بالنعل : فقد تربى على يدي الشيخ الخديم منذ نعومة أظفاره،فارتوى بتلك المناهل التي شرب منها والده، وصدق فيه قول الشاعر :

بأبه اقتدى عدى في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم.

فحل محله في التربية والتوجيه والعمل والإنتاج والمشاركة في إنجاز مشاريع الشيخ بما كان يقدمه من الهدايا الهائلة فجزاه الله خير الجزاء.

10- سرين مندومبي خبان

بقلم / سرين شيخ امبكي خبان

هو الشيخ أحمد بن سعيد المشهور بأحمد اندومبي مريد الشيخ الخد يم وأخوه في الدين وفي الطين، ولد في قرية انجاه غربي امباكي باول في حدود عام 1276 هـ الموافق 1859م ويكبره الشيخ الخد يم بست سنوات وهو قريب للشيخ من جهة الأب والأم معا، فالشيخ الخد يم هو أحمد بن محمد بن حبيب الله بن مهرم، وهو الشيخ بن زيد بن سعيد بن مهرم. ويتصل نسبهما كذلك بالسيدة سغن بص، فالشيخ الخد يم بن السيدة جارة الله بنت عائشة والو بنت أحمد بن سغن بص، والشيخ أحمد هو بن زيد بن سعيد بن سغن بص، أما في جهة الأم فالشيخ الخد يم هو ابن السيدة جارة الله بنت عائشة والو بنت ندومبي نيانغ بنت دان نيانغ، والشيخ أحمد هو ابن اندومبي بنت بار هنت بن دان نيانغ، ذهب والده فيمن ذهب إلى سالم، تلبية لدعوة أمير المؤمنين (مبه) واستقر به المقام في (بروخان) إلى أن التحق بربه، وقبره مزار معروف هناك، توجه الشيخ أحمد إلى (كجور) وكان الشيخ الخديم حينئذ في قرية (امباكي كجور) فوفد

عليه ولازمه، وأكمل على يديه دراساته العالية، ومما يدل على تبحره في العلم شهادة

الشيخ محمد الأمين جوب حين قال في كتابه (نبذة تاريخية ونفثات إلهية) : كان يرسله الشيخ إلى أرض البياضين يستكتبه كتبا.

وحين صدع الشيخ الخديم بدعوته الإصلاحية كان الشيخ أحمد من أوائل من بايعه على السمع والطاعة في المكره والمنشط، ولازمه ملازمة تامة، يقول الشيخ محمد الأمين في كتابه المذكور آنفا :

(إن الرجل ابن عم الشيخ وقرينه قبل علم أحد به، فباع نفسه لله وتجرد لخدمة الشيخ فريدا، ومما شاع بين الناس أنه أول من أهدى للشيخ ألفا مجتمعا، هذا قبل أن يصحبه أحد، بل بحيله ومداخله.

انتقل الشيخ أحمد مع الشيخ الخديم إلى امباكي باول وشارك في بناء رباطاته في دار السلام ثم في طوبى، ولما ألقت السلطات الاستعمارية القبض على الشيخ الخديم ونفيه إلى الجزر المظلمة في(الغابون) وفي (كونغو) كان له موقف مشرف،حيث وقف ببسالة مع خليفته ونائبه الشيخ إبراهيم يعاونه، ويشد من أزره، يقول الشيخ محمد البشير مبكي في كتابه منن الباقي القديم عن هذا الموضوع : (قام الشيخ إبراهيم

بوصية شيخه وأخيه خير قيام، واجتمع المريدون عليه، وسعى في ذلك ابن عمه الكبير أحمد اندومبي، وحث المريدين على مواصلة الخدمة، وتجديد الإدارة، وتقدم هو في ذلك، فجزاه الله خيرا وشكر مسعاه).

ويقول الشيخ محمد الأمين جوب عن موقفه هذا أثناء الغيبة البحرية : فلما غاب الشيخ الغيبة البحرية وخلف أخاه الشيخ إبراهيم، قام له هذا المريد ردءا وأي ردء، فكان لا يدخر عن عيال الشيخ شيئا رعيا لعهد الشيخ، حين تحير كثير من الناس

وانحرف البعض وحين قدم الشيخ إلى أرض السنغال (تحزم حزام المبتدئ الصادق الحريص على نيل مراده العزيز) وفي رحلة الشيخ إلى الغيبة البرية يقول الشيخ محمد الأمين : (فلما غاب الشيخ إلى أرض البياضين اتخذ الطريق مسلكا لا يكاد يفارقه بنفسه ورسله وماله)

ويقول الشيخ محمد البشير في موضع آخر من كتابه : (قام الشيخ الجليل أحمد اندومبي بتفقد المريدين وإحثاثهم على مواصلة السير في طريق الشيخ المرسوم لهم تربية وترقية، وهو التعلم لمن تأهل له على الشيخ إبراهيم، والخدمة والارتياض عليه أيضا، والزيارة والاستفادة منه، والقيام بالمصالح، فهو من أكابر المتصدرين المقيمين مع العيال عند النائب المفخم، وسددوا السلوك وجددوا الطريقة، وقام بالمسجد

الشيخ إبراهيم كقيام مستخلفه، فبهذا استقام السير على ما خطه شيخنا، وتجددت الطريقة وكثر المريدون).

علمنا أن الاستعمار نفى شيخنا الخد يم إلى الجزر النائية في الغابون وخلال هذه الغيبة البحرية المباركة تشمر الشيخ أحمد عن ساعد الجد، وابتنى رباطه الأول في (كر مكي اندو) عام 1896م وبقي هناك سبع سنوات قضاها في التربية والتعليم وحث المريدين على العمل، ومن القرى التي أنشأها كذلك (خبان) عام 1904م ومكث فيها عشر سنوات، (ودار خجل) 1914م ولم يبق بها إلا سنة واحدة، (امبامبانا) سنة 1915 حيث قضى سبع سنوات، وفي السنة 1923م أنشأ قريته (شام)، وبعد عامين أي في سنة 1925م بنى رباطه الأخير (ننذي).

وإنشاء القرى وبناء الرباطات ركن أساسي في الطريقة المريدية، وقد انتهج الشيخ الخد يم هذا الأسلوب وحث كبار المريدين على ذلك، تحقيقا لأهداف عملية وتربوية واجتماعية واقتصادية، ففي هذا المحيط يتفرغ للتعلم،ويتدرج في العمل بما علم في أرضه ولا ينزح إلى المدن الكبيرة، ولا شك أن هذا الأسلوب له أثر فعال في الحياة، وهذا هو التطبيق الكامل لمبادئ المريدية. يقول في ذلك الشيخ الخد يم :

فالعلم خير ما به ازدان الفتى — لأنه يكرمه حيث أتى
والعمل الصالح خير زاد — والعلم دونه غرور باد

والأدب المرضي أفضل جمال فذاك دونه تماثلا الضلال

ويقول :

وطلب الحلال فرض ينتمي لكل مسلم بغير وهم.

وقد اشتهر الشيخ أحمد بأنه لم يأكل قط مما يزرعه مع مريديه من دخن وفستق وإنما يهدي كل ذلك إلى الحضرة الخديمية، وقد درج أبناؤه وأحفاده على سيرته هذه، وحين شرع الشيخ الخديم في بناء المسجد الجامع في جربل تبرع بمائة ألف درهم دفعة واحدة، وواظب على التبرع بهذا المبلغ سنويا إلى حين اكتمال بناء المسجد، هذا بالإضافة إلى الهدايا العظيمة التي كان يرسلها إلى الشيخ، وكان رحمه الله قد اشترى خمسة وثلاثين بعيرا، وأعدها لنقل الأحمال الثقال التي كان يرسلها إلى الشيخ الخديم.

وبعد انتقال الشيخ الخديم رضوان الله تعالى عليه بقي المريد أحمد اندومبي على سيرته المعهودة فلم يغير ولم يبدل،ويقول الشيخ محمد الأمين جوب عنه :\

(كان ممن نزل مكمن الشيخ الخديم، وكان آخر من مس جسده الشريف) ويقول أيضا : (لما نام الشيخ وقامت قيامة أهل الدنيا،فلم يبقَ إلا متردد في أمره أو شاك، وضعف يقين المؤمنين، تلقي المحنة0 بقلب جريء) وبايع الخليفة أول وهلة مبايعة المبتدئ الذي لم يخدم قط فلم ير لنفسه لما تقدم مرتبة ما بل حلف بربه على أنه يخدم الخليفة بأضعاف ما كان يخدم

والده، فبر في حلفه، فلم يبق شيئا لعياله مـن زرعـه وفضـته (نقوده) بل يبذل الكل للخليفة.

عاش الشيخ أحمد بعد الشيخ الخد يم ست سـنوات، ثـم انتقل إلى جوار ربه. ولوفاته قصة مثيرة، وهي أنه لما شـعر بقرب أجله انتقل من داره في (شام) إلى رباطه فـي (دنـدي) يختلط بالمريدين من أهل التربية والخدمة يأكل معهـم ويرقـد عندهم، وعلق على ذلك قائلا سوف أشعر بالخجل حين أقابـل الشيخ الخد يم ويسألني عن داري وعن أهلي وعيـالي، ولكـن أرجو أن يسألني عن المدرسة وعن حال المريدين في الرباط.

وقد كان له ما أراد فالتحق بربه يوم الأربعاء 12 شوال عام 1351م في (دندي)

خلفه ابنه البكر الشيخ إبراهيم لكنه لم يمكث طويلا فلحق بوالده، وخلفه أخوه الشيخ محمد خبان، الذي سار علـى نهـج والده في

تعليم المريدين وتربيتهم والسهر على مصالح الطريقـة المريدية. وقد وفق للبقاء في الخلافة طيلة أربعين عاما وتـوفي عام 1975م ويشيد الآن ابنه البكر الشيخ مام مور مسجدا جامعا في (دندي) وبعد وفاة الشيخ محمد خبان خلفه أخوه الشيخ عبـد الرحمان، وقد شيد مسجدا كبيرا في بلدة (خبان) وهو بحق خير خلف لخير سلف، وله أخوان هما الشيخ عبد القادر – رحمه الله

– والشيخ حبيب الله حفظه الله وحفظ جميع أحفاد الشيخ أحمـــد وأحبابه ومريديه.

فهرس الكتاب